بين سيد الشعراء وسيد رجال المال

للأستاذ صالح جودت

في ليلة مشهودة في التاريخ ، هي عشية الجمعة المباركة من اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٢٠ ، ائتمر نفر من سراة القوم في دار الأوبرا « السلطانية » ، ليحتفل بتأسيس أول دعامة من دعائم النهضة الاستقلالية المصرية ، هي « بنك مصر » .

وفي تلك الليلة المزدهرة ، وقف مؤسس هذه النهضة ، محمد طلعت حرب ، يقول بصوت يختلجه الإيمان :

سادتي :

ما كاد يظهر نبأ تأسيس البنك حتى وجهت إلينا الاعتراضات الآتية :

أولاً : إننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا في المدنية .

ثانياً : إنه ليس في مصر من يصلح لأعمال البنوك .

ثالثاً : إن الأمة ، مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات ، من أسماء كثيرين ، اكتتب كل منهم بمبلغ زهيد ، مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية ...

وماذا يراد أن يُعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذي لا يفي ربحه لدفع أجرة المحل ومرتبات بعض الموظفين ...

* * *

دعونا نبتعد عن هذا الحديث قليلاً ، لنتدرج فنعود إليه .

نشأ طلعت حرب — أول ما نشأ — أديباً يحمل القلم ، ويصدر عنه المقال تلو المقال ، والكتاب إثر الكتاب ، ينافح بها في إعلان الكاتب المخلص ، والمسلم المؤمن . والأديب الموهوب ، عن كيان المجتمع وحرمة التقاليد ، والمحافظة على تراثنا الإسلامي من الفضيلة والعفاف ...

وكانت جهوده الاقتصادية آنذاك تقوم في ركن هادئ من حياته العلمية البارزة .

وهناك ... في أفق الأدب الـ ، والفن الوضاء ، ارتبطت روح طلعت الأديب ، بروح شوقي الشاعر ، وأدرك كل منهما نواحي العظمة في صاحبه ، ثم مرت الأيام تجلو أقدار الرجال ، وإذا بالروحين الحبيبين ، روح الأديب وروح الشاعر ، لا يزيدهما مر الأيام إلا تسانداً . فكلما بنت يد طلعت حرب ، عزفت قيثارة شوقي . وكلما تحدث ظلمت حرب ، تغنى بشاعرية شوقي . فترى طلعت حرب يحتفظ بآثار صاحبه الشاعر في أعز ركن من بيته ، ثم تراه في الحفلة التي أقامها التجار لتكريم الزعيم الطيب الذكر سعد زغلول في فندق سميراميس يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٢١ ، ينتهي في خطابه الكريم بقوله :

وأختتم متمثلاً بقول شاعرنا شوقي :

صح بالصباح وبشّر الـ ... أبنـــاء بالمستقبل
واسأل لمصر عناية ... تأتي وتهبط من عل
قل ربنا افتح رحمةً ... والخير منك فأرسل
أدرك كنانتك العز ... ة ربنا وتقبّل

أما تراه يقول : « شاعرنا شوقي » ؟ أولم يكن شوقي شاعر بنك مصر الذي صحبه في شعره من يوم تأسيسه ، وسجل حركاته وبركاته وشركاته ؟

أليس هو القائل للامية المشهورة في تأسيس بنك مصر ، والتي مطلعها :

قف بالمالك وانظر دولة المـال ... واذكر رجالاً أدالوها بإجمال
وانقل ركاب القوافي في جوانبها ... لا في جوانب رسم المنزل البالي
ما هيكل الهرم الجيزي من ذهب ... في العين أزين من بنيانها الحالي

أو ليس هو قائل الدالية العصماء في الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس بنك مصر ، التي مطلعها :

تراوحُ بالحوادث أو تُغادي ... وتنكرها وتعطيهـــا القيادا
وتحمدها وما رعت الضحايا ... ولا جزّتْ المواقف والجهادا
لحاها الله ! باعتنا خيـــالاً ... من الأحلام واشترت اتحادا

أو ليس هو صاحب الميمية الخالدة في حفلة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر ، التي مطلعها :

نبذ الهوى وصحا من الأحلام ... شرقٌ تنبّه بعـد طول منام
ثابت سلامته وأقبل صحوه ... إلا بقـــايا فترة وسقام

والآن ، آن أن نستجمع آثار هذه الصلة بين سيد الشعراء وسيد رجال المال ، لنرى كيف عكست صورتها الجلية على روحيهما في تلك الليلة المشهودة ، ليلة تأسيس بنك مصر في اليوم السابع من مايو سنة ١٩٢٠ ، حين وقف طلعت يردد ما يثيرون تجاهه من اعتراضات ، فراعنا كل الروعة أن نجد هذه الاعتراضات

مردودة كلها فى قصيدة شوقى التى قالها فى نفس الليلة ، ويدهشك أن يحدث هذا الاتفاق بغير سابق اتفاق إلا صلة الروحين السامقتين

الاعتراض الأول ، أننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية . وفى ذلك يقول شوقى إن الدنيا للمال ، ولا حياة لأمة بغير المال :

والمال ، منذ كان تمثال يطاف به ... والناس منذ خلقوا عُبَّاد تمثال
إذا جفا الدور فانع النازلين بها ... أو المالك فاندبها كأطلال

والاعتراض الثانى ، أنه ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك ، وفى ذلك يقول شوقى إننا قد خطبنا المعالى ، وأردنا جلائل الأعمال ، فعلينا أن نعد العدة لها ، فيومئذ لن يصعب على المصرى شىء ، ويومئذ يصلح المصرى لكل جليل ، وهذه العدة هى العلم والمال

يا طالبا لمعالى المُلك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلال

والاعتراض الثالث ، أن الأمة مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا المشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات

وعندئذ يهيب شوقى بسراة مصر أن يهبوا لدفع هذه الدعوى ، ونصرة الوطن ، إذ يقول :

سراة مصر ، عهدنا كم إذا بسطت ... يد الدعاء ، سراة غير بخّال
تبين الصدق من مَيْن الأمور لكم ... فامضوا إلى المال لا تلووا على الآل

ويحدثهم عن الخير المنتظر من وراء هذه الدار فيقول :

دار إذا نزلت فيها ودائعكم ... أودعتم الحبَّ أرضاً ذات إغلال
آمال مصر إليها طالما طمحت ... هل تبخلون على مصر بآمال ؟
فابنوا على بركات الله واغتنموا ... ما هيأ الله من حظ وإقبال

* * *

يقول الأديب الكبير «تورناد» إن الرجال يذهبون ، ولا يبقى من مجدهم إلا ورقات تنعب رؤوس التلاميذ فى المدارس

ولكن مجد طلعت حرب ، شىء أسمى من مجد الرجال ، وهو باق ما بقى بنك مصر ومؤسساته على أثبت الدعائم ، ودعائمه هى القلوب ، إلى ما شاء الله .

صالح جودت

١ = ٣

فى مصانع شركة مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى آلة لاختبار متانة المنسوجات تعرض تجاربها على كل زائر . وقد أثبتت هذه الآلة أن الثوب المصرى المصنوع فى هذه الشركة يعادل فى متانته ثلاثة أثواب أجنبية — أى أن الثوب المصرى يبقى عليك زمنا تبلى فى خلاله ثلاثة أثواب أجنبية

فاطلبوا من جميع المتاجر منتجات

شركة مصر للغزل والنسج

١٣ . ٤٢